

الإسلام والمسلمون في «جنوب السودان» والتوقعات المستقبلية

د. يوناس بول دي مانيال (*)

مقدمة:

طرأت مستجدات وتغيّرات في السودان بقيام الدولة الجديدة في الجنوب، الأمر الذي ستكون له آثاره على مجمل الأوضاع في الشمال والجنوب على حدٍّ سواء، وأوضاع المسلمين بصورة خاصة في جنوب السودان.

نحاول في هذا المقال، من خلال قراءة التاريخ والأوضاع الحالية وتداعياتها، تحليل واقع المسلمين، واستشراف مستقبل الإسلام في الدولة الجديدة في جنوب السودان، متبعين في ذلك المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، ونأمل أن تسهم النتائج المنهجية والفكرية من هذه الدراسة في إعادة توجيه حركة الإسلام في «جنوب السودان» الحديث، وذلك بعد انفصاله وقيامه على أنقاض جنوب السودان القديم.

أولاً: خلفية تاريخية سياسية:

يُعد التاريخ السياسي لإقليم جنوب السودان من الملفات المهمة لفهم طبيعة السودان الخاصة؛ حيث تضافرت مجموعة من العوامل، وبخاصة في فترة الاستعمار البريطاني على تقسيم السودان معنوياً قبل تقسيمه حدودياً، وعلى تأجيج كثير من الصراعات فيه.

فترة ما قبل العهد التركي - المصري:

تبلورت صورة السودان الحالية في العهد التركي - المصري ١٨٢٠ - ١٨٨٥م، وقبل ذلك ساد الصراع القبلي وهيمنة بعض القبائل على غيرها، وقامت السلطنات الإقليمية كسلطنة الفونج في أواسط السودان، وتُسمّى أيضاً مملكة سنار، والسلطنة الزرقاء وعاصمتها سنار، ومملكة الفور في غرب السودان وعاصمتها الفاشر، وتمتد حدودها من «وداي» غرباً حتى حدود كردفان شرقاً.

وقامت في كردفان مملكتان، هما: مملكة تقلي في الجنوب، والمسبعات في الشمال، ويُطلق اسم مملكة كردفان أحياناً ليعني تجوزاً مملكة المسبعات، وكانت عاصمتها الأبيض[٢].

وبما أن السلطنات الثلاث كانت جغرافياً مجاورة للجنوب، إلا أن الجنوب لم يتأثر بإسلامية أي منها لأسباب تخص كل سلطنة والمجموعة الجنوبية المجاورة لها.

فترة الحكم المصري - التركي (١٨٢٠ - ١٨٨٥م):

اهتم الحكم التركي بجمع المال وتجنيد الرجال، ولم يؤسّس دولة حديثة إلا فيما يختص بالمقدار الذي يحقق أهدافه الأساسية، ومع ذلك أخذ الإسلام طريقه إلى الجنوب مع العناصر التركية التي وصلت إلى الجنوب في ذلك الوقت.

عهد الحركة المهدية:

اقتصرت المهدية - نسبة إلى محمد أحمد المهدي[٣] (١٨٤٤ - ١٨٨٥م) - على كونها حركة

(*) جامعة الزعيم الأزهري - كلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية - قسم الدراسات الاستراتيجية.

(٢) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، ٢٠٠٢م، مركز عبدالكريم ميرغني، ص ص ١٨ - ١٩.

(٣) محمد أحمد المهدي (١٨٤٤ - ١٨٨٥م): زعيم ديني سوداني كبير، قائد الثورة المهدية، أعلن دعوته سنة ١٨٨١م، قال إنه المهدي المنتظر، وسمّى أتباعه الدراويش باسم «الأنصار».

شـعبية دينية ساعدت على تنامي الإحساس الوطني، ولكنهـا لم تتمكن من تغيير البنيـة الاجتماعية لتلك المجتمعـات التقليدية؛ ولذلك بقيت العصبية القبلية موجودة، فقام الحكم الإنجليزي - المصري بإحيائها في إطار الإدارة الأهلية، ونقض سياسة المهدية التي حاولت استبدال القبلية بمفهوم الدعوة المهدية.

عمد الاستعمار كذلك إلى إبقاء الجنوب متخلفاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً

فترة الاستعمار البريطاني:

قامـت السياسـات الاسـتعمارية علـى إظهار الاختلافات الإثنية واللغوية والعرقية والدينية، وفرّقت بريطانيا في التعامل مع الجنوب والشـمال في عدة قضايا، مـن أهمها التعليم، فبدأت تظهر الاختلافات الثقافية.

وقد قامت الإدارة الإنجليزية بين ١٩٠٠-١٩٢٠م بقمـع الحـركات القبلية في الجنـوب التي رفضت الخضوع لها، وظلت الإدارة البريطانية في السـودان في خلال هذه الفترة تمارس سياسـة فصل الجنوب دون أن تدعـو صراحة إلى ذلك، وإنما تحت سـتار تطويـر الحكـم المحلي فيـه، فلم تعارض انتشـار الإسلام، ولكنها أوصت بعدم تشجيعه.

كمـا عملـت الإدارة البريطانيـة علـى تنصير الجنوب؛ ففتحت الطريق للإرسـاليات المسـيحية لتتولى مهمة التعليم ونشر المسيحية بين الجنوبيين، وفي عـام ١٩١٧م تم تكوين الفرقة الاسـتوائية بعد إجلاء جميع الشماليين من الجنوب، وجعل يوم الأحد عطلة رسمية عامة في الجنوب، وفي ١٩١٨م أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية في الجنوب.

وفي عـام ١٩٢١م أصبـح مديـرو المديريات الجنوبيـة لا يحضرون اجتماعـات مديري مديريات السـودان في الخرطوم، ويعقـدون اجتماعاتهم في الجنوب.

وفـي سـنة ١٩٢٢م صـدر «قانـون الجوازات والسفر»، وتبعه أمر «المناطق المقفولة».

وفي سنة ١٩٣٠م وضع السكرتير الإداري مذكرة ضمّنها الخطط العامة للاستراتيجية البريطانية التي عُرفت بـ «السياسـة الجنوبيـة»، والتي بقيت مطبقة حتى عام ١٩٤٥م، وتقوم على المرتكزات الآتية:

١ - بناء سلسـلة من الوحـدات العرقية القبلية المكتفيـة ذاتيـاً، التي تقوم هياكلهـا على الأعراف والتقاليد المحلية.

٢ - إبعاد الإداريين والكتبة والفنيين الشـماليين بالتدرج، واستبدال عناصر جنوبية بهم.

٣ - معرفة البريطانيين لعـادات وتقاليد ولغات أهل الجنوب.

٤ - استعمال اللغة الإنجليزية، وإذا تعذّر تُستعمل اللهجات المحلية[1].

وترك الاحتـلال منطقـة الجنوب السـوداني تحت سـيطرة الإرسـاليات المسـيحية الكاثوليكية والبروتسـتانتية؛ حيث قسـموا الجنوب إلى مناطق نفوذ بين الإرسـاليتين، حتى القبيلة تم تقسيمها بين إرساليتين مختلفتين، وذلك إمعاناً في زرع الاختلاف وعـدم التوحّد حتى في المسـيحية بين أبناء القبيلة الواحدة.

وعملوا على أن يكون الجنوب يختلف عن الشمال في كلّ شـيء؛ بحجة المحافظة علـى خصوصيته! فمنعـوا حركـة التجار الشـماليين المسـلمين في الجنوب، وحرّموا كل ما له صلة بالإسلام من التداول في الجنوب، حتى الكنيسة القبطية نظراً لاستخدامها اللغة العربية!!

ثم ترك مهمة التعليم والخدمات الاجتماعية في يد الإرساليات الكنسية، واستمرت الإرساليات في السيطرة

(١) محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ص ٣٤٩ - ٣٥٠.



على التعليم في الجنوب حتى عام ١٩٢٦م، وذلك حين رأت الحكومة أن تعطي الأمر عناية أكبر[1]، وهو ما أدى إلى إحجام بعض المسلمين في الجنوب عن الالتحاق بالتعليم الكنسي، وهو ما أدى إلى تخلّفهم اجتماعياً وثقافياً وفكرياً، وقد عمد الاستعمار كذلك إلى إبقاء الجنوب متخلّفاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً.

ثانياً: مرحلة ما بعد الاستعمار (الحكومات الوطنية):

بعد الاستقلال (١٩٥٥م) تعاقبت الحكومات الوطنية (مدنية وعسكرية)، واهتمت بالتعليم والصحة، وصاحب ذلك زيادة في أعداد الإنسان والحيوان، ولكن لم يصاحب ذلك تحوّل في البنية الاجتماعية والاقتصادية، وظلّت الزراعة التقليدية والرعي التقليدي المتنقل يشكّلان السمة الأساسية لتلك المجتمعات، بل انضمت قيادات الإدارة الأهلية إلى الحزبين السائدين في البلاد، فنقلت التناقضات الحضرية إلى النسيج الاجتماعي في الريف، الأمر الذي فاقم الفجوة العدائية الناتجة عن التنافس حول الموارد الطبيعية.

بدايات التمرد مع أول حكومة وطنية:

بعد جلاء القوات بريطانيا وانفصال السودان عن مصر؛ طالب الجنوبيون أن يكون لهم نظام خاص بهم داخل الدولة السودانية الموحَّدة، وهو الأخذ بنظام الفيدرالية، ولكن الحكومة رفضت الاقتراح معللة بأنه سيؤدي إلى انفصال الجنوب.

وفي أغسطس ١٩٥٥م تمرّد بعض أعضاء الفرقة الجنوبية من الجيش السوداني؛ حيث كانت هناك شكوك لدى الجنوبيين في سياسات وزارة إسماعيل الأزهري التي تشكّلت في يناير من العام نفسه.

في ظل حكومة عبود العسكرية عام ١٩٥٨م:

بعد تولّي إبراهيم عبود السلطة قامت الحكومة العسكرية باتباع سياسة التذويب بالقوة مع الجنوبيين (أسلمة، وتعريب)، وقد أدى ذلك إلى مطالبة الأحزاب الجنوبية، وعلى رأسها «حزب سانو» باستقلال الجنوب، كما تم تشكيل «حركة أنانيا» التي بدأت عملياتها العسكرية في عام ١٩٦٣م، وبعد الشد والجذب تم بحث تسوية سلمية للصراع.

فترة الحكم الديمقراطي ١٩٦٤ - ١٩٧٠م وجهود التسوية السلمية:

عُقد مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٦٥م.

> **مهما استبدت الحركة الشعبية وعملت على محاربة الإسلام والمسلمين فإن الإسلام هو مستقبل الجنوب**

فترة حكم جعفر النميري، وقيام الحركة الشعبية لتحرير السودان:

في عام ١٩٧٢م في عهد حكم الرئيس جعفر النميري تم توقيع اتفاقيه أديس أبابا، والتي أعطت للإقليم الجنوبي الحكم الذاتي في إطار السودان الموحد، إلا أنه في يوليو وسبتمبر من عام ١٩٨٣م أصدر الرئيس جعفر نميري عدة قرارات أطاحت بالاتفاقية، ومن تلك القرارت تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم، ونقل الكتيبة (١٠٥) وبعض الجنود إلى الشمال، واتهام قائدها كاربينو كوانين باختلاس أموال، كما تم إرسال قوات لإخضاعها، فأدى ذلك إلى هروبها إلى الأدغال الاستوائية، لتصبح فيما بعد نواة للجيش الشعبي، ثم حدث تمرد وليم نون بنج، وانضمام العقيد جون قرنق للتمرد.

ثم تأسست الحركة الشعبية لتحرير السودان، والجناح العسكري (الجيش الشعبي لتحرير السودان)، وقامت بإعلان هدف الحركة، وهو «تأسيس سودان علماني جديد» قائم على المساواة والعدل الاقتصادي

(١) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، ١٩٨٩م، وزارة الإعلام، ص ٢٢٨.

والاجتماعي في إطار سودان موحّد، وقامت برفع شعارات يسارية فحصلت على دعم من الرئيس الإثيوبي منغستو هيلا ميريام.

الحكومة الديمقراطية بعد النميري:

بعد الإطاحة بنظام جعفر نميري عبر انتفاضة شعبية عام ١٩٨٥م؛ كان هناك أمل في التوصل إلى اتفاق مع الحركة، ولكنه فشل بعد اجتماع رئيس الوزراء الجديد الصادق المهدي (من قيادات حزب الأمة وزعماء طائفة الأنصار) مع قرنق بعام ١٩٨٦م، وفي نوفمبر من عام ١٩٨٨م تم إبرام اتفاق بين قرنق ومحمد عثمان الميرغني (زعيم طائفة الختمية، ومن قيادات الحزب الوطني الاتحادي) في أديس أبابا، وقد نصّ الاتفاق على تجميد قرارت سبتمبر ١٩٨٣م.

في ظل حكومة الإنقاذ:

الاتفاق السابق في عام ١٩٨٨م لم يأخذ طريقه إلى التنفيذ لانقلاب يونيو ١٩٨٩م بقيادة عمر البشير، وتبنّي الحكومة شعار «الجهاد الإسلامي» ضد القوى الجنوبية، مستعينة بتسليح ميليشيات قوات الدفاع الشعبي، وحققت الحكومة عدة انتصارات عسكرية.

وفي أغسطس ١٩٩١م، وبعد سقوط نظام منغستو في إثيوبيا، وانشقاق الحركة الشعبية، حاولت الحكومة الاستفادة من هذا الانشقاق فأجرت اتصالات منفردة مع د. لام أكول (زعيم ومؤسس حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان - التغيير الديمقراطي)، توصلوا فيها إلى الاتفاق على وثيقة عُرفت باسم «وثيقة فرانكفورت»، ووُقّعت في يناير من عام ١٩٩٢م، إلا أن الحكومة السودانية أنكرتها بعد ذلك.

في مايو ١٩٩٢م، وتحت رعاية الرئيس النيجيري إبراهيم بابنجيدا، أُجريت الجولة الأولى للمفاوضات في أبوجا، ثم الجولة الثانية في مايو من عام ١٩٩٣م، ولكن لم تسفر هذه المفاوضات عن شيء، وفي ١٩٩٧م وقّعت الحكومة «اتفاقية الخرطوم للسلام» مع الفصائل المنشقة عن الحركة بقيادة د. رياك مشار و د.لام أكول وآخرين، ولكن لم تصمد.

وتضاعفت الجهود الدولية من خلال «منظمة الإيقاد»، إلى أن تم توقيع اتفاق إطاري يُسمّى «بروتوكول ماشاكوس»، وذلك في ٢٠ يوليو من عام ٢٠٠٢م، والذي أعطى للجنوب حكماً ذاتياً لفترة انتقالية مدتها ٦ سنوات، وحق تقرير المصير، وفرصة للجنوبيين للتفكير في الانفصال، كذلك أعطى الفرصة في بناء مؤسسات الحكم الانتقالية باعتباره نوعاً من الضمانات، وفي ٩ يناير ٢٠٠٥م وقّعت الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان «اتفاقية السلام الشامل» في نيفاشا، والذي نصّت بنوده على:

- حق تقرير المصير للجنوب عام ٢٠١١م.
- إجراء انتخابات عامة على كل المستويات في مدة لا تتجاوز عام ٢٠٠٩م.
- تقاسم السلطة بين الشمال والجنوب.
- تقاسم الثروة.
- إدارة المناطق المهمّشة بين الشمال والجنوب.
- الترتيبات الأمنية.

ثالثاً: الجغرافيا السياسية لجنوب السودان:

يضم إقليم الجنوب عشر ولايات، وحدوده: من الجنوب الشرقي إثيوبيا، وكينيا، ومن الجنوب أوغندا، ومن الجنوب الغربي جمهورية الكونغو الديمقراطية، ومن الغرب جمهورية إفريقيا الوسطى، ومن الشمال باقي ولايات السودان، وتبلغ مساحة جنوب السودان أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ كم مربع تقريباً، وجنوب السودان منطقة مغلقة لا تطل على البحر أو المحيط.

الديانات:

يتكوّن سكان جنوب السودان من أتباع الديانات الإفريقية التقليدية، والوثنيين، والمسيحيين، بالإضافة إلى المسلمين من أهل السنّة، ويشكّل أتباع الديانات الإفريقية التقليدية والوثنيين أغلبية السكان، أما معظم المسيحيين فهم كاثوليك وأنجليكانيون على الرغم من نشاط الطوائف الأخرى أيضاً.



ومعظم المسلمين ينتمون إلى المتصوّفة وأنصار السنّة المحمدية والإخوان المسلمون كما هو الحال في الشمال، ولا توجد شيعة في جنوب السودان ولا يهود.

المجموعات الإثنية:

يضم جنوب السودان ثلاث مجموعات إثنية رئيسة، هي: النيليون، والنيليون الحاميون، والمجموعة السودانية، ويأتي على رأس هذه الإثنيات من حيث العدد والنفوذ والقوة النيليون، ومن هذه السلالات انحدرت قبائل الجنوب السوداني مشكّلة نسيجاً اجتماعياً معقداً، نحاول هنا أن نبين بعض بنياته.

أولاً: النيليون[1]:

ينتمي إلى هذه المجموعة ثلاث قبائل لها دور مهم في الجنوب السوداني، وهي الدينكا والنوير والشلك.

١ - قبيلة الدينكا:

وهي كبرى المجموعات الإثنية في السودان الذي يضم حوالي ٥٠٠ مجموعة إثنية غير الدينكا، وتضم قبيلة الدينكا اثني عشر بطناً من أبرزهم: (دينكا ملوال، أقار، بور، نقوك، ريك، توج، كيج).

٢ - قبيلة النوير:

يسكن النوير في فضاء جغرافي يقع أساساً في ولايات أعالي النيل وجنقلي والوحدة، وتنقسم قبيلة النوير بصفة عامة إلى مجموعتين: شرقية وغربية، أو الجيقي والجيكنج، وتتكون من خمسة بطون، هي: الجيقي وموطنهم في غرب النوير، ويضم منطقة بانتيو وميوم والليير، والقارجاك وفنجاك، قاوير في أيود، واللو في أكوبو وواط والجيكو، والجيكنج في الناصر وآولانق، ومجموعة مايوت بشرق أعالي النيل على الحدود الحبشية، ولهم امتداد داخل أراضي الحبشة.

٣ - قبيلة الشلك:

هي أقل المجموعات الثلاث تعداداً، وتعيش على الضفة الغربية للنيل الأبيض، إلى الشمال من «ود أكونة» في الشمال، إلى بحيرة «نو» في الجنوب، وعلى الضفة الشرقية للنيل الأبيض إلى قرب من مدينة ملوط شمالاً، وإلى بحيرة «نو» جنوباً.

وقبيلة الشلك ذات نظام سياسي مركزي تحت قيادة ملك أو سلطان يُطلقون عليه لقب «الرث»، ويجمع «الرث» بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في صيغة مشابهة للتقاليد المصرية الفرعونية القديمة.

ثانياً: النيليون الحاميون:

أُطلق عليها هذا الاسم نظراً لاشتراكها مع المجموعة النيلية في كثير من السمات السلالية واللغوية وفي نمط الحياة الاقتصادية (الاعتماد على تربية الماشية، وبخاصة البقر، والاعتزاز بها). إلا أن هنالك فرقاً بين المجموعتين وبخاصة لون بشرتهم الأقل سواداً من النيليين.

ومن أهم قبائل النيليين الحاميين: الباري والمنداري والتوبوسا والتوركانا واللاتوكا واللانقا والديدنقا، وغيرهم.

ثالثاً: المجموعة السودانية[2]:

ينتمي إلى «المجموعة السودانية» قبائل الزاندي التي تُعد ثاني أكبر مجموعة قبلية بعد قبيلة الدينكا بجنوب السودان، والمورو والمادي والبون جو والكريش، ويغلب على طبيعة الحياة الإنتاجية لهذه السلالة الزراعة وليس تربية الماشية؛ بسبب انتشار ذبابة التسي تسي في أماكن وجودها.

ومن أبرز قبائل هذه المجموعة الزاندي، ومجموعة الفراتيت، والتي تضم قبائل الكريش

(١) انظر: Audrey Butt، the Nilotes of the Sudan and Uganda، East Central Africa، part 4، International African Institute ، London ، pp .1- 4

(٢) عبارة «المجموعة السودانية» اصطلاح سلالي عرقي، وليست اصطلاحاً سياسياً.

والبلندا والفروقي في بحر الغزال الكبرى، في مناطق واو وراجا وديم زبير وخور شمام وغيرها، وهي فرع من مجموعة الزنوج السودانيين.

اللغة:

توجد في جنوب السودان مجموعات قبلية ولغات أكثر من الشمال، ولغة التعليم والحكومة والأعمال هي الإنجليزية والعربية، وهما اللغتان الرسميتان في جنوب السودان منذ عام ١٩٥٦م.

واللغة العربية المتميزة في جنوب السودان، والتي تُعرف باسم «عربية جوبا»، تكوّنت في القرن التاسع عشر بين أحفاد العساكر السودانيين، وهي منحدرة من لغة قبيلة باري التي تُستخدم على نطاق واسع في الإقليم الاستوائي، وأما ولايات أعالي النيل وبحر الغزال فيتحدثون باللغة العربية السودانية المستخدمة في الشمال بحكم التداخل والتواصل.

كما توجد ثلاث لغات إفريقية يتم استخدامها بشكل كبير، وهي «طوك جينق» (لغة دينكا) يتحدث بها الدينكا، و «طوك ناس» (لغة النوير)، ويتحدث بها النوير، وتُستعمل في ولاية الوحدة وولاية جونقلي وأعالي النيل، و «طوك شلو» (لغة مملكة الشلك)، وتُستخدم في ولاية أعالي النيل.

الاقتصاد:

يمتاز جنوب السودان بأنه منطقة غنية بالموارد الطبيعية، ويعد البترول من أهم الصادرات، حيث تتركز فيه ما نسبته ٨٥٪ من احتياطي السودان قبل الانفصال، وتتركز الثروة البترولية والمعادن في ولايتي الوحدة وأعالي النيل، كما يمتاز الجنوب بالأراضي الزراعية الخصبة، والموارد المائية السطحية (الأنهار، والأمطار) والجوفية.

ومنطقة جنوب السودان كذلك غنية بالثروة الحيوانية، والغابية بالإضافة إلى الحياة البرية، إلا أنها تفتقر إلى البنيات الأساسية من الطرق والكباري والمصانع لاستغلال هذه الثروات، كما تفتقر إلى الفنادق والنزل.

رابعاً: الإسلام.. حاضره ومستقبله في جنوب السودان:

الإسلام الشعبي الذي جاء به الأتراك، وأحيته الحركة المهدية في الجنوب، تمثّل في الطرق الصوفية في حواضر الجنوب، ومراكز السلطة التي يديرها المأمور، والذي صار اليوم محليات.

وبعد سقوط المهدية في يد الحكم الثنائي (الإنجليزي - المصري)، ثم انفراد الإنجليز بحكم السودان، وضعت الحكومة استراتيجيات سياسية ودينية خاصة بجنوب السودان، على أنه جزء أو إقليم جيوبولتيكي، حتى يمكن تحقيق مصالح الإنجليز فيه على المدى البعيد؛ إذا ما تم تنفيذ هذه الاستراتيجيات.

شهد الإسلام في هذه الفترة في الجنوب تضييقاً شديداً؛ لأن الحكم الثنائي أعاد فتح السودان أصلاً للقضاء على الأثر الديني للثورة المهدية، وكان الوجود المصري وجوداً رمزياً تمثّل في رفع العلم المصري بجوار العلم الإنجليزي، وكانت السيطرة الفعلية للإنجليز، وخصوصاً بعد إبعاد الجيش المصري من السودان بعد ثورة ١٩٢٤م التي قادها تنظيم اللواء الأبيض بقيادة علي عبداللطيف[1]، وعضوية عبيد حاج الأمين وصالح عبدالقادر وحسن صالح المطبعجي وحسين شريف، وكانوا يمثّلون خليطاً من القبائل السودانية والأصول العرقية التي يتكون منها السودان[2].

اهتم المسلمون ببناء المساجد في الجنوب، فتم بناء مسجد ملكال في عام ١٩٤٣م، ومسجد واو ومسجد جوبا ومليط ورومبيك وبور، وقد تم ذلك بمعاونة الحكومة المصرية في عهد الحكم المصري لارتباط هذه المناطق بـ «مستعمرات الري المصري»، ثم توقفت عملية بناء المساجد بُعيد ثورة ٢٣ يوليو

(١) علي عبد اللطيف: ولد من أب من جبال النوبة وأم من قبيلة الدينكا، وكانا عبدين وتحررا من الرق.

(٢) محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ص ٤٣٨ - ٤٤٠.



١٩٥٢م حتى اليوم.

وبعد ذلك تم بناء العديد من المساجد في كل من المدن الرئيسة، بالإضافة إلى المصليات في الأحياء السكنية والمدن الطرفية وبعض القرى، وقامت بعض المعاهد الدينية، ولكنها ضعيفة من حيث الإعداد.

وكان النشـــاط الإســـلامي الذي قادته «مؤسسة الري المصري» في جنوب السودان قد خطا خطوات مشجعة للمســـلمين في المدن التي بها «مستعمرات الري المصري»، حيث التحق بعض أبناء المســـلمين بالتعليم المصري في الجنوب.

وأهم ما قام به المصريـــون في الجنوب لخدمة الإســـلام هو بناء المســـاجد، والتي احتضنت بعض الجنوبيين الذين جاؤوا من الريف إلى المدن فدخلوا في الإسلام.

تطورت حركة الإســـلام في الجنـــوب مع تطور أوضاع المسلمين في الشمال، حيث ظهرت نشاطات دعويـــة وجماعات إســـلامية تنتهج مناهـــج تختلف عما هـــو متوارث داخل الجنوب، مع انتشـــار الكتاب الإســـلامي، بعد أن تـــم تعميم المدارس التبشـــيرية الكنسية، وتحويلها إلى مدارس حكومية بمنهج موحَّد على السودان.

انتشـــر الإســـلام في الجنـــوب من خـــلال التعليم الحكومي، وانضم بعض الجنوبيين للحركات الإســـلامية الموجودة، مثل: الإخوان المسلمين، وجماعة أنصار السنّة المحمدية، بالإضافة إلى المنتمين إلى الطرق الصوفية.

كمـــا أن الجنوب عرف المؤسســـات والمنظمات الدعوية الحديثة مع تطور وتصاعد الصحوة الإسلامية في العالم الإســـلامي منذ أواخر الســـتينيات، حيث نشأت العديد من المنظمات، مثل هيئة إحياء النشاط الإســـلامي، ومنظمـــة الدعوة الإســـلامية، والوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة، وغيرها من المنظمات الإسلامية، وأهمها الهيئة الإسلامية لجنوب السودان، والجمعية الإســـلامية لجنوب السودان، ثم تقاطرت المنظمات الطوعية الإسلامية والعربية على الجنوب.

وبمـــا أن المجتمع الجنوبي متحرر جداً ومنفتح؛ فـــلا يوجد به تعصّب وتطرف ديني، والدليل على ذلك وجود تعدد وتنوع ديني في الأســـرة الواحدة (المسلم والمسيحي والوثني... إلخ) دونما وقوع مشكلات بينهم؛ لأن القاعدة في المجتمع الجنوبي هي أن كل فرد حر فـــي اختيار عقيدته ودينه، وهذه الحرية هي أســـاس الدين الإســـلامي، وحينما تنعدم الحرية يتراجع المد الإســـلامي، كما هو حادث الآن تحت سيطرة الحركة الشعبية لتحرير السودان وجناحه العسكري في جوٍّ من الاستبداد لم يعرفه المجتمع الجنوبي من قبل.

ينبغي أن يراعى توجيه أبناء القبيلة والعشيرة في الدعوة من خلال الكيان القبلي أولاً قبل غيره، والتركيز على رموز القبيلة

ولكن مهما استبدت الحركة الشعبية وعملت على محاربة الإسلام والمسلمين فإن الإسلام هو مستقبل الجنوب، لكن كيف ذلك؟ عن طريق توطين الإســـلام في أريـــاف الجنوب باعتبارها أصـــل الجنوب الذي تقطنـــه الغالبية، وهم أقرب إلـــى الفطرة في اعتناق الإســـلام؛ على عكس مـــن في المدينـــة حيث تكثر الأهواء والصراعات.

هذه هي استراتيجية الرابطة الإسلامية لجنوب الســـودان (جوســـو)، حيث تقوم بالدعوة إلى الله في جنوب السودان دون الخوض في الأمور السياسية.

أعداد المسلمين ومناطق انتشارهم في الجنوب:

التقديرات الحالية غير الرسمية تؤكد تزايد عدد ســـكان الجنوب من المسلمين بنسبة كبيرة، حيث بلغت نســـبة المســـلمين في آخر إحصاء رسمي – تم إجراؤه منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي على يد مجلس الكنائس العالمي برعاية الاحتـــلال البريطاني – ١٨٪، أما المســـيحيون

فبلغت نسبتهم ١٧٪، واحتل الوثنيون ٦٥٪.

ويقدِّر الأمين العام لمجلس الكنائس في السودان (حزقل كوتجوفو) عدد الجنوبيين المسيحيين بحوالي ٣ - ٤ ملايين أغلبهم من الكاثوليك(١).

من جهة أخرى، وطبقاً لآخر تقرير للمجلس الأعلى لتجمّع المسلمين في جنوب السودان، فإن نسبة المسلمين قفزت إلى ٣٥٪، ويساويها اللاوحديون (وثنيون) ٣٥٪، ويليهم المسيحيون بنسبة ٣٠٪.

وهذه الإحصائيات أقلقت الكنائس الغربية؛ مما جعلها توعز إلى زعماء الحركة الشعبية بأن يتمسّكوا بعدم تسجيل خانة الديانة في استمارات الاستفتاء القادم على مصير الجنوب، حتى لا تظهر النسب الحقيقية للمسلمين(٢).

يُعد إقليم بحر الغزال بولاياته المتعددة أكثر الأقاليم الثلاثة التي تضم مسلمين، تليها ولاية الاستوائية الوسطى، وتحديداً مدينة جوبا التي يقطن معظمها مسلمون، ثم يأتي إقليم أعالي النيل، وخصوصاً في منطقة أبيي التي يسكنها أكثر من مليون مسلم، منهم ٦٠٠ ألف من قبيلة المسيرية، وهي القبيلة العربية الوحيدة الموجودة في الجنوب، وفي الولايات الجنوبية العشر أكثر من ٦٥ مسجداً جامعاً، أشهرها وأقدمها مسجد الملك فاروق في ملكال بأعالي النيل، وهو المسجد الذي بناه الملك فاروق في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، ثم مسجد الصباح بمدينة جوبا، الذي أنشأه الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت أواخر ثمانينيات القرن الماضي أيضاً(٣).

عوامل انتشار الإسلام في جنوب السودان:

انتشر الإسلام في جنوب السودان بواسطة العديد من العوامل، يمكن أن نلخصها في الآتي:

١ - قيام المراكز الإدارية والمدن التجارية.

٢ - التجارة وحركة التجار المسلمين، وتأثيرهم الاجتماعي في الجنوب، ساعد على انتشار الإسلام.

٣ - التزاوج: ساعد التزواج بين الشماليين القادمين من شمال السودان وسكان الجنوب على انسياب الإسلام بهدوء في الجنوب.

٤ - التعليم: كان للتعليم أثر كبير في انتشار الإسلام في الجنوب، وذلك عن طريق انتشار اللغة العربية في الجنوب، والتي صارت لغة الحياة اليومية.

٥ - علاقات الجوار مع القبائل العربية المسلمة شمالاً، في مناطق دارفور وكردفان والنيل الأبيض.

٦ - قيام دولة رابح فضل الله في إفريقيا الوسطى، ومشاركة العديد من الجنوبيين في جيش الزبير، وكان لرابح فضل الله الأثر الكبير في انتشار الإسلام في مناطق بحر الغزال وإفريقيا.

٧ - فتح المجاري النهرية، وحركة الكشف الجغرافي التي قام بها الجنود الأتراك والمصريون، ساعدت في وصول الإسلام إلى جنوب السودان ويوغندا.

٨ - كما أن طبيعة الدين الإسلامي المرنة والبسيطة ساعدت الأهالي على اعتناقه .

ويوجد في الجنوب الآن أربع مؤسسات ناشطة باسم الدعوة إلى الإسلام:

أ - الرابطة الإسلامية لجنوب السودان (جوسو).

ب - الهيئة الإسلامية لجنوب السودان.

ج - الطرق الصوفية.

د - المجلس الإسلامي لجنوب السودان.

معوقات الدعوة الإسلامية في جنوب السودان:

إن أي عمل إصلاحي تعترض سبيله بعض المعوقات، وعلى الرغم من ذلك فإن الإسلام في المجتمع الجنوبي يجد الترحيب، إلا أن بعض ممارسات المسلمين التي تقع عن جهل منهم بأحكام دينهم وعدالته وسماحته تشكّل معوّقاً حقيقياً للدعوة الإسلامية.

---

(١) الفاضل بشير بابكر: مسلمو جنوب السودان، انظر: http://shababtinoba.ahlamountada.com/t226-topic

(٢) الفاضل بشير، مرجع سابق.

(٣) الفاضل بشير، مرجع سابق.

